سلسله الاخلاق

قصص
في الطاعة

إعداد : شعبان مصطفى قزامل

منبر التوحيد والجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الطاعة خلق عظيم ، أمرنا الله به ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) . وقال ﷺ : " على المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة " .

وطاعة الله هي العمل بكتابه العزيز ، وطاعة الرسول ﷺ هي اتباع ما جاء به من الدين عن ربه ، وطاعة أولي الأمر إنما تكون في المعروف .

ولقد جعل الله للطائعين ثواباً عظيماً : (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً) .

وهذه القصص التي سنقرأها تقدم لنا نماذج لهذا الخلق ، لنتعلم منها ، ونأخذ ما فيها من عبرة وعظة .

الطائعات

لما نزل قول الله ﷻ الذي يأمر فيه المؤمنات بارتداء الخمار (وهو ثوب يغطي الرأس وفتحة الصدر) : (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ...)

سارعت المؤمنات إلى تنفيذ أمر الله ، فشقت كل واحدة قطعة من ثيابها واختمرت بها تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله في كتابه .

وكان الرجل من الصحابة إذا أخبر نساءه وبناته بهذه الآية يسارعن إلى تنفيذ أمر الله .

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل ، لما أنزل الله : (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) شققن مروطهن (المرط : كساء تلفُّه المرأة حول رأسها) فاختمرن بها .

طاعة وزواج

كان جليبيب ﷺ رجلاً فقيراً ، فخطب له النبي ﷺ ابنة رجل من الأنصار ، فتردد الأنصاري ، وقال للرسول ﷺ : أشاور أمها .

فلما ذهب الأنصاري إلى بيته أخبر امرأته بالأمر ، فلم توافق على زواج جليبيب من ابنتها .

فقام الأنصاري ليذهب إلى رسول الله ﷺ ، ويخبره بما قالت أم الفتاة ، فخرجت البنت ، وقالت : من خطبني إليكم ؟ فأخبرتها أمها .

فقالت الفتاة : أتردون على رسول الله ﷺ أمره ! ادفعوني إليه فإنه لن يضيعني .

فذهب الأنصاري إلى الرسول ﷺ ، وأخبره بما قالت الفتاة .

فزوجها النبي ﷺ جليبيباً ، فبارك الله لهذه الفتاة لحسن طاعتها لأمر رسول الله ﷺ .

خاتم الذهب

ذات يوم ، رأى رسول الله ﷺ رجلاً يلبس خاتماً من ذهب ، فنزع الخاتم من إصبع الرجل ورماه ، وقال له : " يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيطرحها في يده " .

فلما انصرف الرسول ﷺ طلب أحد الصحابة من الرجل أن يأخذ خاتمه لينتفع به أو يبيعه ويأخذ ثمنه . فرفض الرجل ذلك ، وقال : والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ .

و لم يكن النبي ﷺ قد نهى الرجل عن الانتفاع بالخاتم ، وإنما نهاه عن لبسه ، ولكن الصحابي فعل ذلك حبًّا لرسول الله ﷺ وزيادة في طاعته .

وذلك لأن الذهب يحرم لبسه على الرجال ، ولكنه حلال للنساء ، ويجوز لهن أن يستعملنه للزينة والتجمل .

فضيلة الطاعة

كان جيش المسلمين يقاتل جيش الروم في بلاد الشام بقيادة خالد بن الوليد ﷺ ، فأرسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ رسالة إلى خالد مع أبي عبيدة بن الجراح ﷺ ، يأمره فيها أن يترك قيادة الجيش ، ويسلمها لأبي عبيدة .

فلما وصل أبو عبيدة ﷺ إلى الشام وجد أن المعركة مع الروم قد بدأت ، فانتظر حتى انتهى القتال وانتصر المسلمون ، ثم سلم الرسالة لخالد ﷺ .

فلما قرأ خالد الرسالة لم يتردد لحظة في طاعة الخليفة ، وتنفيذ أمره ، وسلم أبا عبيدة قيادة الجيش . وصار خالد جنديًا كعامة جنود المسلمين ، ولم يمنعه عزله عن القيادة من مواصلة الجهاد .

وهكذا كان خالد نموذجاً حسناً لطاعة المسلم لأميره ، والامتثال لأوامره .

وصية بالطاعة

ذات يوم ، صلى النبي ﷺ الصبح ، ثم توجه إلى الصحابة ﷺ ، وخطب فيهم ، ووعظهم ، فبكوا . فقال قائل : يا رسول الله ، كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا ؟

فقال النبي ﷺ : " أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة (يقصد بذلك طاعة ولي الأمر أو الحاكم أو المسئول) ، وإن كان عبداً حبشيًا ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، فتمسكوا بها ، وعَضّوا عليها بالنواجذ (الأسنان) ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل مُحْدَثَة بدعة ، وكل بدعة ضلالَة " .

وفي هذه الوصية نرى أهمية طاعة الحاكم فيما لا يعصي الله ، وطاعة الله ﷻ باتباع سنة رسول الله ﷺ ، والتشبه بالصحابة وأفعالهم – رضوان الله عليهم أجمعين - .

الأميران

اختار رسول الله ﷺ عمرو بن العاص ﷺ ليكون أميراً على جيش المسلمين في موقعة ذات السلاسل ، فلما وصل عمرو بالجيش ورأى كثرة الأعداء ، أرسل إلى النبي ﷺ يطلب منه مدداً .

فأرسل إليه الرسول ﷺ مدداً من المهاجرين الأولين بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، وأمره الرسول ﷺ ألا يختلف مع عمرو .

فلما قدم مدد المهاجرين على عمرو قال لهم : أنا أميركم . فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك ، وأبو عبيدة أمير المهاجرين . فقال عمرو : إنما أنتم مدد مُدِدْتُه . فلما رأى أبو عبيدة إصرار عمرو على موقفه تذكر وصية الرسول ألا يختلف مع عمرو ، فقال له : تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ أن قال : " إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا " ، وإنك إن عصيتني لأطيعنك ، ثم سلم أبو عبيدة الإمارة لعمرو خشية أن يعصي رسول الله ﷺ أو تحدث فتنة في جيش المسلمين .

ضوابط الطاعة

اختار المسلمون أبا بكر الصديق رضي الله عنه خليفة للرسول ﷺ ، فقام ليخطب في المسلمين ؛ فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : " أما بعد أيها الناس ، فإني قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم ، فإن أحسنتُ فأعينوني ، وإن أسأت فقوِّموني . الصدق منجاة ، والكذب خيانة . والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح علته (أزيل شدته ومحنته) إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا يشيع قوم قط الفاحشة إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله ، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم " .

وهكذا وضح أبو بكر رضي الله عنه للمسلمين ضوابط طاعة ولي الأمر في ظل طاعة الله .

الأمير والنار

أرسل رسول الله ﷺ علقمة بن محرز رضي الله عنه قائداً على سرية (جزء من الجيش) ، وفي الطريق ، أرسل علقمة مجموعة من الجيش إلى جهة أخرى ، وجعل عبد الله بن حذافة رضي الله عنه أميراً عليهم ، وكان عبد الله رجلاً مرحاً يحب الدعابة والمزاح .

وأثناء الطريق ، توقف عبد الله ومن معه ونزلوا ليستريحوا ، فأوقدوا ناراً ، وكانت فرصة لعبد الله ليمارس بعض مداعباته ، فقال لمن معه : أليس لي عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى .

وهنا فاجأ عبد الله الجميع بأن أمرهم أن يلقوا بأنفسهم في النار . فقام بعض النـــاس ليلقـــوا بأنفسهم في النار طاعة لأميرهم . فلما رأى الأمير ذلك منعهم ، وقال : إنما كنت أضحك معكم .

فلما عاد القوم ذكروا ما حدث لرسول الله ﷺ . فقال لهم : " من أمركم منهم بمعصية فـــلا تطيعوه " .

الابن العاصي

دعا نوح ﷺ قومه إلى عبادة الله – تعالى – مدة طويلة من الزمن ، فلم يستجب له إلا القليل منهم ، واستمر الباقون في كفرهم وعصيانهم ، فدعا نوح ﷺ ربه أن يهلك الكفار ، فأوحى الله إليه أن يصنع سفينة ، فلما انتهى نوح من صنع السفينة ، أمره الله أن يركبها هـــو والذين آمنوا معـــه ، وأن يأخذ معه من كل شيء زوجين اثنين .

وفعل نوح ﷺ ما أمره الله به ، وأمطرت السماء مطراً شديداً ، وتفجر المـــاء مـــن الأرض ، وارتفع الماء ، وحمل السفينة وسار بها .

وكان لنوح ﷺ ابن كافر ، فناداه : (يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ) . لكن الابن العاصي أصر على كفره بالله ، وعدم طاعته لأبيه ، وقال له : (سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) فقال له أبوه : (لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ) وارتفع الماء ، فغرق الابن العاصـــي مـــع الكافرين .

سجود الملائكة

لما خلق الله – تعالى – آدم ﷺ أمر الملائكة أن تسجد له ، فأطاعـــت الملائكـــة أمـــر الله ، فسجدوا جميعاً ، إلا إبليس ، فإنه عصى أمر الله ، ورفض أن يسجد لآدم ﷺ .

فطرد الله إبليس من رحمته جزاءَ عصيانه لأمر الله .

وأسكن الله آدم ﷺ وزوجه الجنة ، وأمرهما ألا يأكلا مـــن شجرة معينة .

فلما رأى إبليس ذلك ، أراد أن يخرجهما من الجنة ، فوسوس إليهما أن يأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عنها ، وادَّعى أنه ناصح لهما .

فعصى آدم ﷺ ربه ، وأكل من الشجرة ، فأخرجهما الله من الجنة وأسكنهما الأرض جــزاء عصيانهما أمر الله .

نهي وطاعة

عندما نزلت آية تحريم الخمر : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْــأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) خرج مناد ينادي في الأسواق والضواحي ، يخبر المسلمين بتحريم الخمر .

وفي هذا الوقت ، كان أنس بن مالك ﷺ يسقي القوم خمراً في مترل أبي طلحــة ﷺ ، فقال أبو طلحة لأنس : اخرج فانظر ما هذا الصوت ؟

فخرج أنس فوجد المنادي يقول : ألا إن الخمر حُرِّمَت .

فدخل أنس وأخبر القوم ، فترك أبو طلحة ما بيده ، وأمر أنساً أن يسكب ما عنده من الخمر ، فسكبها أنس ، وكذلك فعل كل من كان عنده خمر ، فملأت الخمر طرق المدينة .

ساعة الحصار

أثناء حصار المشركين للمدينة في غزوة الأحزاب ، طلب النبي ﷺ من أصحابه أن يقوم رجل منهم ليعرف أخبار المشركين ، قائلاً : " مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ، ثم يرجع .. أســأل الله – تعالى – أن يكون رفيقي في الجنة " . فلم يقم أحد منهم .

فنادى ﷺ حذيفة بن اليمان ﷺ ، وقال له : " يا حذيفة ، اذهب فادخل في القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا " .

فأطاع حذيفةُ رسولَ الله ﷺ ، فذهب إلى معسكر المشركين ، وعرف أخبارهم . ولما أراد أن ينصرف رأى أبا سفيان قائد المشركين يقف بمفرده ، فأراد أن يرميه بسهم فيقتله ، ولكنــه تــذكر وصية الرسول ﷺ إليه بألا يفعل شيئاً حتى يأتيه ، فلم يقتل أبا سفيان طاعة لأمر النبي ﷺ .

طاعة وفداء

ذات ليلة ، رأى نبي الله إبراهيم الخليل ﷺ رؤيا في منامه ، لقد رأى أنه يذبح ابنـــه الوحيـــد إسماعيل ﷺ ، وتكررت هذه الرؤيا ، فصدَّقها إبراهيم ﷺ ، وعرف أنها وحـــي مـــن الله ، وأن الله يريد أن يختبره ، فنادى ابنه إسماعيل ﷺ ، وقال له : (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَـــانْظُرْ مَاذَا تَرَى) .

فلم يتردد الابن – وكان فتى صغيراً - ، وقال طاعة لله : (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) .

وأطاع إبراهيم وإسماعيل أمر ربهما ، وأمسك إبراهيم ﷺ السكين ، واستعد لـــذبح ولـــده ، ولكنه سمع صوتاً يناديه : (يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) .

وأنزل الله من السماء كبشاً عظيماً ؛ فداءً لإسماعيل ﷺ لحسن طاعته ، واستجابته لأوامر ربه .

عصيان وهزيمة

في غزوة أُحُد ، قسَّم النبي ﷺ جيش المسلمين ، وأمر جماعة من الرماة (الذين يقذفون السهام) أن يصعدوا فوق جبل أحد ؛ ليحموا المسلمين من الخلف ، وألا يتركوا أماكنهم مهما حدث .

واشتد القتال ، وانتصر المسلمون في البداية ، ففرَّ الأعداء من أمامهم ، فلمـــا رأى الرُّمـــاةُ أن المشركين فروا ظنوا أن المعركة قد انتهت فتركوا أماكنهم ، ونزلوا ليجمعوا الغنـــائم الـــتي تركهـــا المشركون ، فذكّرهم أميرهم بأوامر النبي ﷺ ، فلم يسمعوا ، ولم يطيعوا ، وذهبوا من أجل الغنائم .

فلما رأى فرسان قريش أن رماة المسلمين قد نزلوا من فوق الجبل رجعوا وهاجموا المسلمين من الخلف فهزموهم ، وهكذا كان عدم طاعة الرماة لأمر الرسول ﷺ سبباً في هزيمة المسلمين .

الصحابي الطائع

ذات يوم ، ذهب عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى مسجد الرسول ﷺ ، فلما اقترب من المسجد سمع الرسول ﷺ يقول وهو يخطب في المسلمين : " اجلسوا " .

فجلس عبد الله مكانه طاعة لأمره ﷺ برغم أنه لم يكن قد وصل إلى المسجد ، وظل جالساً حتى فرغ النبي ﷺ من خطبته .

وكان ﷺ قد قال ذلك لأنه رأى بعض المسلمين واقفين أثناء الخطبة .

فقيل للنبي ﷺ : يا رسول الله ، ذلك ابن رواحة سمعك وأنت تقول للناس : اجلسوا . فجلس في مكانه .

فقال النبي ﷺ لعبد الله رضي الله عنه : " زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله " .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد